

الدامور (لمحة تاريخية)

بقلم الدكتور إميل مارون

1 - مقّمة

لا تهدف هذه اللمحة التاريخية إلى كتابة تاريخ الدامور، الذي يعود بحسب المصادر التي بين أيدينا إلى أيام الفينيقيين، إذ جُلّ ما تسعى إليه هو الوصول إلى النقاط التالية:

أ - تبيان الأهمية الاستراتيجية لهذه البلدة.

ب - الوقوف على سلوك أبنائها تجاه المحيط المغاير، خلال القرن التاسع عشر، بعد التهجير المتكرّر التي تعرّضت لها البلدة وأبناؤها.

ج - دراسة سلوك أبناء هذا المحيط تجاه الدامور.

وذلك للوقوف على الأسباب التي تجعل من هذه البلدة عرضة للتهجير مرّة بعد مرّة، كلّما عصفت بلبنان رياح التغييرات المحليّة والإقليمية؛ فإذا ما عُرِفَت الأسباب التاريخية والجغرافية والاجتماعية الكامنة وراء هذا التهجير المتكرّر، قد يمكن تفاديه مستقبلاً.

هنا، قد يُطرح سؤال حول أهمية دراسة الماضي، وحول اختيار فترة القرن التاسع عشر.

في الواقع، لا تعني دراسة الماضي "دراسة استمراره في الحاضر"¹، لكنّها تسهم في فهم الحالة التي عاشها لبنان خلال فترة عصيبة من تاريخه المعاصر، عنيت بها الأحداث الأليمة التي امتدّت بين سنتي 1975 و 1990، والتي ما زال لبنان يعيش انعكاساتها حتى اليوم. كذلك، تشبه نتائج الأحداث الطائفية للقرن التاسع عشر، أقلّه على المستوى الداموريّ، نتائج الأحداث المشار إليها؛ فضلاً عن أنّ التغييرات الجذرية التي طرأت على لبنان خلال القرن التاسع عشر مهّدت الطريق للانتقال إلى الحياة الديمقراطية الحديثة، إذ يؤكّد الدكتور بطرس لبكي، في معرض كلامه على التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للبنان خلال الفترة الممتدة بين 1840 و 1914، قد طبعت الحياة اللبنانية المعاصرة بطابعها².

2 - الدامور تاريخياً

يقول عفيف مرهج: "سميت البلدة بهذا الإسم نسبة للإله الفينيقيّ دامور، ابن السماء الذي انتزع من الإله إيل زوجته وزوجها من الإله داجون وهي حبلى ب دامور. وقد شيّد الصيدونيون هيكلًا للإله دامور على الضفة الغربية للنهر المعروف اليوم بنهر الدامور، علماً بأنّ هذا النهر كان التحم الشماليّ لمملكة صيدون³. ولا تزال آثار هذا الهيكل من أعمدة ضخمة وحجارة غليظة في مكان يدعى السيّالة إلى الجانب

¹ - إيليا حريق، *التحوّل السياسيّ في تاريخ لبنان الحديث*، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1982، ص 19.

² - Botros Labaki, *Sericiculture et commerce intérieur au Liban, au 1840 - 1914*, Thèse de doctorat d'état non publié, 3^{ème} chapitre.

³ - عفيف مرهج، *إعراف لبنان*، المجلّد الرابع، ص 471.

الشماليّ من دعامة الجسر القديم الذي بني أبان عهد الأمير بشير الشهابيّ سنة 1832. إلا أنّ الرومانيّين بنوا هيكلًا على أنقاض الهيكل الفينيقيّ؛ ويقال أيضًا أنّ الإله دامور هو نفسه بعل دمرّ الإله الفينيقيّ الإله المحاميّ.

أمّا اليونانيّون فيسمّون نهر الدامور بـ تاموراس المشتقّ من بعل تمراري إله النخيل. بالمقابل، يتفق المؤرّخان طنّوس الشدياق وإبراهيم الأسود على أنّ الدامور لفظة سريانيّة معناها العجب، أو عربية ومعناها المخرب⁴. في هذا المعنى الأخير تطابق وحقيقة حال النهر عند مصبّه بالمحلّة المعروفة اليوم بـ "ياروتي"، حيث تصطدم مياهه بسفح الجبل جنوبًا فترتدّ شمالًا مخربة الأراضي هناك.

تجاه هذا الخلط، أجرينا مقابلة مع المؤرّخ الشهير المرحوم الدكتور فؤاد افرام البستانيّ للوقوف على رأيه في الموضوع، فكان جوابه أنّ الناس هم من يطلقون الأسماء على الأعلام الجغرافيّة، وبما أنّ الدامور مدينة قديمة العهد تصبح تسميتها آراميّة – فينيقيّة وليست عربيّة الأصل أو المعنى، لأنّ العرب أتوا إلى لبنان في مرحلة زمنيّة لاحقة. ويقم الدليل على كلامه بتسمية معلّقة الدامور التسمية اللاحقة التي هي لفظة عربيّة الأصل والمعنى، تمامًا مثل معلّقة زحلة.

أخيرًا، تجدر الإشارة إلى أنّ المعلومات التاريخيّة الواضحة والدقيقة عن الدامور لا تعود إلى أبعد من القرن الثالث عشر الميلاديّ.

الدامور، في 4 تشرين الثاني 2012

ملاحظة: المرّة القادمة سنحاول تبيان الأهميّة الاستراتيجيّة لبلدتنا العزيزة.

الدكتور إميل مارون

أسناد متفرّغ في الجامعة اللبنانيّة – معهد العلوم الاجتماعيّة

⁴ - إبراهيم الأسود، *دليل لبنان سنة 1906*، المطبعة العلمانيّة؛ و طنّوس الشدياق، *كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان*، منشورات الجامعة اللبنانيّة، قسم الدراسات التاريخيّة، توزيع المكتبة الشرقيّة.